الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

محمد سيد حاج

رحمه الله

محاضرة

التوحيد التوحيد

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله رب العالمين قيوم السماوات والأرضين ورب الخلائق أجمعين، إله الأولين والآخرين، أحمده سبحانه حمد الشاكرين الذاكرين، وأسلم على سيد ولد آدم أجمعين، خليل رب العالمين، المبعوث بخير دين الهادي إلى صراط الله المستقيم، وعلى آله وأصحابه أجمعين. الجمع الكريم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أعظم ما في الوجود، وأجل ما في الكون، وأجمل ما في الحياة أن يذوق القلب طعم الإيمان وأن يدرك العبد حقيقة التوحيد، الذي هو لب الدين، وأساس دعوة المرسلين، وجوهر الإسلام، ولا يقبل الله عز وجل عملًا على غير توحيد، ولا يتقدم عند الله أحد ولا ترتفع منزلة أحد إلا بالتوحيد. هذا التوحيد العظيم الذي جاءت به الرسل ونطقت به الكتب، ونزل به الوحي، وانقسم الناس حياله إلى مؤمن وكافر، ففريق في الجنة وفريق في السعير، هو أساس هذا الدين. والتوحيد بمعناه العظيم قضية عظيمة، لا تنتهي ولا تتوقف طالما أن الحياة قائمة، معرفة الله لا حد لها، وإن التوحيد الذي هو أساس هذا الدين والذي يعني أن تعرف الله وأن تحسن التعامل معه هذا لا حد له.

لو أردنا أن نتحدث عن شخص يقول أنا وحدت، نقول له هذا يدل على أنك لم توحد، لأن أعظم حجاب بين العبد وبين الرب الادعاء، فمن ادعى المعرفة فارق المعرفة، ومن ادعى الزهد فارق الزهد، ومن ادعى العلم فارق العلم، ومن ادعى العبادة فارق العبادة.

أساس هذا الدين هو هذا التوحيد، لكن هذا ارتبط عند بعض الناس بالجماعة، بجماعة معينة أو بفئة معينة، ولذلك إذا قيل للناس وحدوا الله، طوالي يقول لك ده كلام ناس فلان. على الناس أن يفهموا أن قضية التوحيد قضية أمة، وهي لسائر الناس، التوحيد ما عنده علاقة بجماعة معينة أو بطائفة معينة. قد تكون في جماعة من الجماعات لهذا التوحيد وتجردت له ودعت الناس إليه، لكن الناس ما عارفين أنه توحيد رب العالمين. قال ليه: امسك في الله، كلامه ده صح ولا غلط؟ إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، هذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس هو في سنن أبي داود والترمذي، ما عنده علاقة أصلًا.

عشان كذا قضية التوحيد أولًا ينبغي أن نخرج التوحيد من الصياغات أنه جماعة أو لا جماعة، أي زول المفروض يكون موحد. يا أخي ده ربنا قال لك: امسك في ربنا، تقعد تضطرب؟ وتقول ده كلام ناس فلان؟ ناس فلان؟ كان دي دعوة وأنعم بهم. قالوا شنو؟ قالوا: امسك في الله، أحسن كلام. وقالوا شنو؟ وقالوا: خلوا الشيوخ ما بينفعوكم ما تضروكم، أحسن كلام. في شنو؟ أنت زعلان ما لك؟ ربنا قال: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾، تقول لنا فلان؟ ده كلام رب العالمين. ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ...﴾ دون الله، والأولياء والشيوخ والصالحين والإنس والجن والملائكة، دون الله، أنت زعلان في شنو؟

لذلك قضية التوحيد أول شيء نثبته أنها قضية إيمانية وأنها قضية عقدية تمس كل مسلم، عليه أن يكون موحدًا لله سبحانه وتعالى. فنحن نسأل سؤال، نقول: التوحيد لماذا؟ ليه؟ ندعو للتوحيد ولماذا نتكلم عن التوحيد؟ أول شيء ندعو للتوحيد لأن الله مستحق للوحدانية ومستحق للعبادة وحده، ولذلك كانت قضية التوحيد في القرآن واضحة جدًا. شوف القرآن كيف يقول لك: وقال الله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾، إلهين، اثنين، يعني ما في داعي الاثنين دي، لكن ما خلاها للاستنتاج، لأن القضية قضية توحيد ومفاصلة. ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾، برضو ما خلاه للاستنتاج. التوحيد ده ربنا بين شديد.

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. يعني ربنا لما يذكر التوحيد في القرآن ما في زول يقدر يقول ما فهمته، التوحيد في القرآن واضح وبين وعديل لما تقرأ القرآن، كما قال ابن القيم من أوله إلى آخره توحيد، فما من آية إلا وهي ختمت باسمين من أسمائه أو بصفتين من صفاته أو

ببعض الحديث عنه سبحانه، فكل القرآن توحيد: والله عزيز حكيم، والله بما تعملون عليم، والله خبير بما تصنعون، إن الله غفور رحيم. كل كلام ربنا ليعظم وليجل، لذلك هو المستحق للعبادة، المستحق للتوحيد، ولذلك نوحده، نوحد الله، لأنه واحد ولأنه لا إله غيره ولا شريك معه.

شوفوا يا إخوانا الشراكة دي الناس ما بيرضوها، الناس في رقبته ما بيرضوا شراكة. يا أخي ربنا شريك؟ ربنا تعمل له شريك؟ إذا كان الناس في أنفسهم لا يرضون الشراكة وقد قال الله ذلك، قال سبحانه وتعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. الآية دي معناها شنو في سورة الروم؟ ربنا قال: لو أنت عندك أجير مؤجر، بتديه مرتب، وفاتح دكان، الدكان حقك والبضاعة حقتك وهو شغال معاك بالمرتب، قام ادعى أنه شريك الدكان، بترضى؟ ضرب لكم مثلًا من أنفسكم، من للابتداء، أي انتزعه من أقرب شيء، من أنفسكم.

جميع الذين اتخذتموهم شركاء مربوبون وعبيد لله، فكيف يستساغ هذا ويقبل؟ الكون ده من أوله لحد آخره كله في قبضة الله وفي يد الله وتحت سلطان الله سبحانه وتعالى. لذلك التوحيد، لأنه حق الله ولأن الله مستحق للعبادة، ومستحق للإجلال ومستحق للتعظيم، ولذلك قال سلفنا إن الله عز وجل فطر القلوب على معرفته وحبه ولا تطمئن القلوب إلا بمعرفته وحبه سبحانه.

يجي بعض الناس، التوحيد واضح، يتخبط، يتخبط كيف؟ اسمع، مرة يقول يا الله، ومرة يقول يا رسول الله، ومرة يقول يا رجال الكون. اثبت يا زول، ما تنطط. تقول يا الله، تعال ما تقول معه. ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾؟ بعبادة الله بس، الله براه. يا إخوانا ده حق، حق. يعني أنت لما توحد الله ما بتكون عملت جديدة، ده حقه عليك يا أخي.

ابن القيم في الطرق الحكمية أورد قصة عجيبة جدًا لطيفة وهي أن سليمان عليه السلام اختلف عنده رجلان في بقرة، ولم يجد لأحد دليل وبينة، ففكر مليًا، فكر في الموضوع. جابوا البرسيم ووقفوا البقرة، البقرة جات للصوت الذي تألفه والشخص الذي تعرفه. طالما البقرة عرفتك معناه أنت سيدها وأنت كنت بتأكلها كل يوم، اعتبرها بينة ودليل، قال له: سوق وامشي. قال كلام عجيب، قال: عجبت لابن آدم، عرف البقر سيده واتجه إليه، ألا يعرف ابن آدم سيده ليتجه إليه؟ يا أخي البقرة عرفت السيد، أنت لحد يوم وليلة تنطط ما عارف سيدك منو؟ بقرة.

نجيب على السؤال، التوحيد لماذا؟ في ستة نقاط. وهو جل وعلا لا يقبل الشريك، في سورة الرعد، قال تعالى في مقام محاورة النبي للمشركين: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾. المشكلة الكبيرة جدًا تقديس البشر، دي المشكلة. والله التوحيد ده واضح وضوح، ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾. يا أخي التوحيد دا فطرة، اسمع الكلام دا كويس.

يا أخي الآية دي عجيبة، في تفسير: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾. عيسى عليه السلام كان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرًا بإذن الله. قال أهل التفسير: تطير حتى تتوارى من العيون فتسقط طينًا كما كانت، حتى لا يختلط في الفضاء طير الله وطير عيسى. وده حق الله، كله حق الله، ما عيسى ما عنده ولا نبي عنده ولا بشر عنده في الكون ده حاجة، حق الله كله. الكون ده حق الله، هو مستحق للعبادة، كلام واضح. التوحيد ده حق الله، حقه.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: والدين يقوم على الحقوق، الله أقام الدين على الحقوق، حق الله العبادة، أي شيء عبادة لا يجوز أن تصرف لبشر كائن من كان، حق الله العبادة، وحق النبي صلى الله عليه وسلم النصرة والاتباع والمحبة والتأييد، وحق العلماء التوقير، وحق الكبار الاحترام، وحق الوالدين الإحسان، وحق الجار الإحسان، وحق الأبناء التقويم، وحق الأهل حسن الخلق وكمال العشرة. قال: وحق النفس، نفسك عندها حق عليك، حق النفس المخالفة، وحق الشيطان العداوة. قال: من عاش بهذه الحقوق نجا ولقي الله وهو راض عنهم. أي ذي حق حقه، الله حقه العبادة. ده التوحيد باختصار شديد.

حق البشر الاحترام. الشيخ حقه شنو؟ بيعلمك الدين. الشيخ حقه التوقير والاحترام. شيخ علمني، بحبه في الله، وبحترمه. أبرك في الواطة يعني ولا كيف؟ وأزحف بالواطة والله ما بسويها، ده شيخ ولا إله ده؟ شيخ ولا طاغوتة؟ شيخ علمني، جزاه الله خير، ممكن أكرمه أحبه، لكن أعبد وأعظم وأقدس، هذا يخالف التوحيد. يا إخوانا شوفوا التوحيد أصلًا منذ أن خلق الله الخليقة، أكبر قادح من قوادح التوحيد تقديس البشر، ما دخل الشرك إلا عن طريق الصالحين الذين عبدوا.

الدين قائم على هذه الحقوق، التوحيد حق الله، ما في كلام، هو المستحق للعبادة. طيب ليه؟ هو المستحق للعبادة لأنه المالك لكل شيء، المتصرف في كل شيء، المدبر لكل شيء، القابض على كل شيء، القاهر للعباد، الذي اتصف بصفات الكمال وبنعوت الجلال، ده ربنا. اللي بيعرف الله لا يبغي به بدلًا، ولا يلتمس إلى غيره سبيلًا، ولجوءه إلى الله كافيه، وتوكله على الله كافيه. ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾؟ يا أخي ربنا قال كده: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾.

قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾، رأيك شنو؟ إبراهيم عليه السلام مش إمام الموحدين؟ مش خليل الرحمن؟ أنت ما أجل منه توحيدًا. كم وصلت من التوحيد بالنسبة لإبراهيم عليه السلام؟ فبالتالي حتى الموحد الذي يزعم أنه موحد يحتاج إلى التوحيد، لا يستغني عن توحيد الله أحد.

اسمع كلام السلف في التوحيد. قال ابن القيم: والله كلام زي ده تسمعه يزيد إيمانك. لا يستقيم الإيمان حتى تخضع القلوب والجوارح للديان. الذي خشعت له الأصوات، وسبحت بحمده الأرض والسماوات، وخضعت له كل الكائنات، الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى. الذي لا تسكن القلوب إلا بحبه، الذي لا تسكن الأرواح إلا بحبه، ولا تطمئن القلوب إلا بحبه، ولا تزكو العقول إلا بمعرفته، ولا يقع شيء إلا بإذنه، ولا تحيا القلوب إلا بنسيم لطفه وقربه، ولا يفتتح شيء إلا باسمه، ولا يتم إلا بحمده، ولا يفهم أحد إلا بتفهيمه، ولا يستقيم ذو أود إلا بتقويمه، ولا سعادة إلا بطاعته، وما طابت الجنة إلا بسماع خطابه ورؤيته، الذي وسع كل شيء علمًا وأوسع كل مخلوق رحمة وبرًا. كلام ابن القيم ده مش متين؟ ربنا فوق ما قال ابن القيم. مهما يثنوا ما يبلغ شيء.

يا أخي ربنا ده ما عظيم؟ والله لا أملك إلا أن أقول بقول الله جل وعلا: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾. التوحيد اللي أنت قلته هين يا أخي، الناس قالت التوحيد ده هين. والزول يجيه في عمل نصيحة في التوحيد، أشق شيء على الناس نصيحة في التوحيد، يقول لك: يا أخي أنت ما عندك موضوع تاني؟ والله كلنا يخاف على نفسه من ألا يكون موحدًا لله كما ينبغي.

السلف دول يقولوا شنو؟ قال ابن الجوزي أبو الفرج بيتكلم عن ربنا: الذي بيده كل شيء، والذي خضع له كل شيء، صح ولا ما صح؟ العباد إلى الله مفتقرون، ولا يقوم لك شيء إلا بتوفيق الله المحض. قال مطرف بن عبد الله بن الشخير: لو أن الله أعطاني قلبي فوضعته في شمالي، وأتاني الهدى والإيمان في يميني، لما

استطعت أن أدخل في قلبي من الهدى والإيمان شيئًا إلا أن يشاءه الله. ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾، مش قلبك دا؟

عشان كده ابن الجوزي قال شنو؟ اسمع كلام ابن الجوزي، توحيد عالي. الأنبياء ذاتهم قمة البشر، وصفوة الخلق، وخلاصة أبناء آدم، مش هم؟ ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾. يتكلم لك عن الأنبياء، قال شنو؟ قال: نظر إلى آدم بعين الرضا فحظي بسجود ملائكته. يا الله! لو ما ربنا رضي عن آدم ما كان بتسجد له الملائكة. وإلى نوح فنجاه من الغرق بسفينته، وإلى يونس فنجاه من ظلمته، وإلى داود فألان له الحديد على حدته، وإلى عيسى فكم أقام ميتًا في حفرته، وإلى محمد صلى الله عليه وسلم فخصه بالقرب من حضرته والوصول إلى سدرته، وأعرض عن إبليس فشقي بالطرد من رحمته، وأعرض عن فرعون فادعى الربوبية على جرأته، وأعرض عن النمرود فقال أنا أحيي وأميت ببلاهته، وأعرض عن قارون فخرج على قومه في زينته، وأعرض عن أبي جهل فشقي مع سعادة أمه وابنه وابنته. تخيل، أبو جهل أمه أسلمت، وولده أسلم، والبيت أسلم، وهو يمشي النار. هكذا جرى تقديره فلا اعتراض على قسمته، يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته. انتهى كلامه.

ده الناس موحدين يا أخي، تقول نحن موحدين؟ شوف السلف، شوف الناس اللي بيعرفوا الله كيف يا أخي. قال علماء السير: وهب بن منبه زار مكة، فاجتمع العلماء الذين في مكة، وكان آنذاك في مكة زائر الحسن البصري وعطاء بن أبي رباح. قال له: يا شيخ اعمل لنا درس. فجلسوا إليه فبدأ وهب في أبواب الحمد والثناء على الله. قال الحسن البصري: فما سكت إلا عند أذان الفجر الأول فقمنا من عنده بغير سؤال. يمجد الله من صلاة العشاء لحد ما الفجر والأذان الأول، وهو أهل الثناء والمجد.

الحسن البصري رحمه الله تعالى سئل: كيف عرفت الله؟ قال: عرفت الله بنقض العزائم. نقض العزائم يعني شنو؟ نحدد موضوع ونخططه، يفشل وما نقدر نتمه، عرفت أنه في جهة أعلى مني. ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾. والله ناس عميقين في المعرفة، قال له: كيف عرفت الله؟ قال: بنقض العزائم. أي والله، الزول بعد ما يحدد يقول لك باجي وبسوي الحبة دي، ما يسويها. تؤمن أنه الكون دا في قبضة الله، وتؤمن أنه الملك ملكه والأمر أمره، يا أخي دا توحيد.

شوف الإسلام لا يعترف بالعقائد الفاسدة: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾. قال ابن القيم في النونية: كن واحدًا في واحد ولواحد. كن واحدًا في واحد، في طريق واحد، ولواحد ولرب واحد. يا سلام. دائمًا على الناس أن يعلموا أن قضية التوحيد قضية جوهرية.

يا إخواننا كده أنا عايز أسألكم سؤال، الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ما استتب الأمر، في كل سنة فجر راتبة، اللي بيسموها الناس الرقيبة، الركعة الأولى الكافرون، والثانية؟ الإخلاص. طيب لو ما في شرك؟ فبالتالي قضية التوحيد قضية لا تقبل مساومة. والله يا إخوانا نحن لا ندعو الناس للتوحيد لأنه ما عندنا موضوع، والله المواضيع راقدة، لكن التوحيد ده زول يمشي منه وين؟ يا أخي أنت شوف، بتقرأ لما تمشي الحرم، ركعتي الطواف الأولى بالكافرون والثانية؟ بالإخلاص. وكل يوم في صلاة الصبح، الرقيبة تقول ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، حتى لو ما في كافرون في وجدانك بيتبرأ من الكافرين.

قال ابن القيم: ويقرأ بهما في ركعتي الطواف وفي سنة الفجر كل يوم تذكيرًا للمؤمنين والموحدين ألا يفارقوا التوحيد، فإنهما الكافرون والإخلاص جماع التوحيد. الكافرون تضمنت التوحيد العملي والمفاصلة، والإخلاص تضمنت التوحيد الخبري والعلم والتصور الصحيح. والله ترى نحنا من زمان ما فاهمين أي حاجة، بس قال لك تقرأ الكافرون، تقرأ الكافرون، الإخلاص معه الإخلاص. الكافرون توحيد عملي، مفاصلة، ولا يتم التوحيد إلا بمفاصلة: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾. في ناس يقول لك: تؤمن بالله وتعظمه؟ تعظم الله وغيره ما بينفع، الله براه.

فبالتالي التوحيد هو حق الله على العبيد والله مستحق لهذا التوحيد. الله يا أعذب الألفاظ في لغتي ويا أجل حروف في معانيها، الله يا أمتع الأسماء كم سعدت نفسي وفاض سروري حين أرويها. الله أفضل ما نطق به الناطقون، وأجل اسم وأعظم علم، وهو اسم الله الأعظم. التوحيد لماذا؟ لأنه حق الله على العبيد وهو مستحق العبادة وحده، أهل لأن يحمد وأهل لأن يعبد وأهل لأن يشكر وأهل أن يثنى عليه. توحيد الله ما معه كلام اتنين.

لحاجة الناس جميعًا للتوحيد: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾. العباد مفتقرون إلى الله. قال ابن القيم: إذا تعلق القلب بغير الله مهما تعلق فإن القلب لا يسكن إلا بالله لأن الله فطر القلب عليه، يعني زول مهما عبد غير الله ما بيرتاح

إلا يعبد الله بس، لأن الله فطر القلوب على ذلك. الخلق مفتقرون إلى الله يا أخي، عشان كذا لا بد نوحده، لو ما وحدوه ما في طريقة.

سئل الجنيد رحمه الله: كيف عرفت الله؟ قال: لولا ربي لما عرفت ربي. وقال يحيى بن معاذ: عبادة الله عند العارفين كالتيجان على رؤوس الملوك. قال: لأن العبادة حرفة. الزراع حرفة، الطب حرفة، والنجارة والخياطة والحدادة والبناء والجزارة. العبادة حرفة، حانوتها الخلوة وربحها الجنة. ده كلام السلف. العباد مفتقرون إلى الله، أي والله، والله بلا الله ما يساووا أي حاجة.

طلع بتاع التموين بيعدوا الأسر عشان يدوهم السكر والحاجات اللي بيوزعوها، ماسك الورقة وقلم وبيسأل. كتب رقم البيت وكده. قال لها: يا حجة، عددكم كم؟ قال لها: رب الأسرة منو؟ قالت له: ورب العالمين؟ قال لها: يا حاجة. قالت له: الله ما عندنا غيره، ربنا كمان في تاني في غيره؟ وريني. رب العالمين، ده اللي بيأكل وبيشرب وبيدي أي حاجة. فالعباد مفطورون على حبه وعبادته، ولا يستقيم قلب إلا بحبه هو سبحانه.

العباد محتاجون إلى الله خاصة في هذا العصر الذي اضطربت فيه النفوس جدًا، في طغيان مادي، وفي إلحاد عملي، الفضائيات وما تبث أبعد الناس عن التوحيد والتعلق بالله. قلب الجيل المعاصر تعصف به أمراض العصر من القلق والوسواس القهري، والإحباط وعدم الطمأنينة، يعصف بهذه الأجيال الآن التي نراها، للأسف الشديد. فبالتالي نحن أحوج ما نحتاج إلى التوحيد، أن التوحيد هو أساس كل شيء. الآن أكثر ما يحتاجه الناس في هذا العصر الذي فقدوا فيه التماسك الإيماني وتضعضع اليقين والثقة في الله، هذا العصر جميع الناس يحتاجون إلى جرعات من الإيمان وتعزيز التوحيد في نفوسهم.

أوريك التوحيد دا كيف، الناس محتاجين لربنا، محتاجين للتوحيد. امرأة عجوز في نيسابور. جاء الإمام الرازي زائرًا لنيسابور، لما وصل خرج الناس لاستقباله. يا أخي الناس بيحبوا العلما ويهاجروا للعلما، ويسافروا يمشوا يتعلموا، يحبون العلماء، وهذه ظاهرة صحية، إذا كانت القضية قضية حب شرعي، ليس في ذلك تعلق مذموم. فبالتالي المرأة امرأة لا تعرف شيئًا. الزحمة شديدة، آلاف الناس. قالوا: الإمام الرازي يزور نيسابور والجموع تستقبله. قالت لهم: الرازي؟ ضحكوا عليها، قالوا لها: ألا تعرفين الرازي؟ قالت: ما بعرفه. قالوا لها: هذا الذي يملك ألف دليل على وجود الله. ضحكت، قالت: لو لم يكن له ألف شك ما كان له ألف دليل، وجود الله لا يحتاج إلى دليل.

الرازي سمع هذا الكلام، غيره تمامًا. كان سالكًا مسالك الفلسفة وأهل الكلام والألفاظ والعمومات. لما جاء يموت قال: ولقد سبرت أغوار أهل الكلام، فما تشفي عليلًا ولا تروي غليلًا، وها أنا ذا أموت على ما تموت عليه عجائز نساء نيسابور.

نمرة تلاتة، التوحيد لماذا؟ لأنه دعوة جميع الرسل، الله مستحق للعبادة. الناس محتاجين ليه؟ يا إخوانا ما في زول ما عنده مشكلة، والمشاكل متجددة. ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ...﴾ فوق تقول يا الله، يا فارج الهم، ويا كاشف الغم، ويا مجيب دعوة المضطرين، ويا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما. طالما في مشاكل في حاجة إلى الله. وده حنقول لكم في الآخر في توحيد الموحدين: في ناس كتار موحدين توحيد نظري، في أدنى مشكلة يتزعزع ويفقد إيمانه. يا أخي التوحيد ده عنده ثمرات كما سوف نعرف بعد قليل.

التوحيد دعوة جميع الرسل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، جميع الأنبياء قالوا: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾، كل الرسل قالوا كده. يا سلام، ده كلام جميل، ده كلام جميل، جميع الأنبياء دعوا إلى التوحيد الخالص. شوف توحيد الأنبياء كيف، نجيب شوية يا إخوانا. الناس يقول لك نحن نعرف الله، بتعرف الله؟ شوف ابن القيم يقول شنو؟ يقول: تبلغ الكمال في التوحيد، متى؟ إذا سجد قلبك لله كما سجدت جوارحك له.

عبد الملك بن عمير رحمه الله قال حاجة، قال: من انقطع إلى ملك من ملوك الدنيا ظهرت عليه آثار النعمة، فكيف بمن انقطع إلى خدمة ملك الملوك وعلام الغيوب؟ ديل ملوك الدنيا، اشتغل مع ربنا، والله ما تجيك عوجة، والله يرفعك ويعليك ويعزك ولا أحد يستطيع يذلك. عشان كذا سلفنا قالوا شنو؟ العز في كنف العزيز. داير عز؟ خليك في كنف العزيز. تتعزز والله يعزك ويرفعك.

نرجع سجود القلب. قال ابن القيم: وهل للقلب سجود؟ قال: أقول نعم، ولكن القلب إذا سجد لا يرفع من سجوده إلى يوم القيامة. كان لحق قلبك جوا، سجد لله؟ القلب ده ما بيرفع نهائي، سيظل القلب ساجدًا لله، وعلامة ذلك ألا تحسن إلا الطاعة، ولو أنك جررت إلى المعصية جرًا لما استطعت أن تعصي الله.

ابن القيم بدأ يتكلم عن الأنبياء والرسل، يتكلم عن توحيد إبراهيم عليه السلام. يا أخي إبراهيم ربنا رفعه: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾. أكثر ذكرًا مع نبينا عليه الصلاة والسلام إبراهيم عليه السلام، كل صلاة حتى العشا ده تقوله: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم. ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا

يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾، اتجرد للتوحيد. شوف ما في نبي، أي نبي ربنا بيرسله بيخالف الأمة من رأسها، ما بيجاملوه، ويصادموا الأمة دي كلها.

إبراهيم عليه السلام ده يا سلام، توحيد عجيب. ربنا قال له: اذبح ولدك. يا الله! نحنا ربنا بيجيب لنا الأوامر على قدر إيماننا. ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ...﴾ ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾. ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾، ما في مجاملة، مش الله قال؟ إيه، بينفذ. يا أخي نحنا الواحدة يقولوا لها: اربطي شعرك ده، ما قادرة. واحدة قالوا لها: اربطي شعرك ده، قالت: بيخنقني.

يا أخي شوف ربنا قال: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾، قال ابن القيم: أسلما قلبيهما لله، ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾. يا أخي الله قال البلاء مبين. لو طقته عربية، أنت بتقول: أمر الله يا أخي، قدر الله، ما شاء فعل. ابن القيم قال شنو؟ قال: وكان خلاصة ذلك أن الله أراد قلب إبراهيم سالمًا له خالصًا له، ما أراد الله أن يذبح إسماعيل حسًا، لكن أراد أن يذبح إسماعيل معنى في قلب والده، ولما فعل ذلك وتله للجبين كانت المحبة قد ذبحت وكان قلب إبراهيم لله خالصًا. ده التوحيد.

رابعًا لا إصلاح ولا نهضة إلا بالتوحيد. الآن في فساد، عارفين الفساد سببه شنو؟ سببه عدم التوحيد. ليه؟ إخوانا الآن في معاصي، صح؟ المعاصي سببها شنو؟ ضعف التوحيد في القلوب. كيف؟ أي معصية تعالج بالإيمان، تعالج بالتوحيد. يا إخواننا الفساد الموجود في الأمة في جميع مناحي الحياة لا سبيل لإصلاحه إلا بربط الأمة بالله، إذا عرفوا الله كفوا عن الذنوب والمعاصي. وقفوا. قال لهم: أتعتقدان أن الله يراكم الآن؟ عالج الموضوع بالتوحيد، الله شايفكم ولا ما شايفكم؟ سكتوا. وقالوا ما شايفنا كفروا، لأنه لا تخفى عليه خافية. قال: إن اعتقدتما أنه لا يراكما فقد كفرتما، وإن اعتقدتما أنه يراكما فقد تجرأتما عليه.

يا إخواننا الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة لا رفع سيف ولا قاتل. ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾، جهاد قرآن وحجة، ثلاث عشرة سنة في مكة. ولذلك أي دولة لا تقوم على عقيدة صحيحة ستنهار، وأي أمة لا تقوم على توحيد لله خالص لن تنهض. إذا أردتم النهضة في بلادنا هذه فعليكم بالتوحيد.

سأل شاب الجنيد رحمه الله: يا أخي أنا ما قادر أغض بصري. قال له: إذا علمت أن نظر الله إليك أسبق من نظرك إلى الحرام غضضت نظرك. قبل ما تعاين الله بكون شافك لأنه أسرع. في ناس بيعاينوا بالدس، يكون راكب مع الناس، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾، عمل نفسه محترم، كل مرة يختلس البصر. الشيء

ده الناس ما شافوه لكن الله شافه.

ابن حجر رحمه الله في كتاب الإيمان من صحيح البخاري، اسمعوا الكلام ده كويس، قال ابن حجر: خلاصة التوحيد، كتاب الإيمان في صحيح البخاري اختصره ابن حجر في كلمتين. قال سلفنا الصالح: خف الله على قدر قدرته عليك، واستحي من الله على قدر قربه منك، هذا هو الإيمان. خاف من ربنا على قدر قدرته عليك. الله بيقدر ولا ما بيقدر؟ تخاف منه. قريب؟ تستحي منه؟

خامسًا التوحيد لماذا؟ لأن الواقع المعاصر الآن فيه شرك: قبور تعبد، وناس يقدسون، يقدسون عديل، شيوخ عندهم عند بعض الناس مكانة ممكن يقتلك فيه. تقول لي ما في شرك؟ كيف ما في شرك؟ الناس زمان كانوا بيعبدوا شنو؟ المشركين في مكة، بيعبدوا شنو كان؟ الأصنام، والأصنام اسمها شنو؟ اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى. تعبد قبور ويعبد أناس، ويقدسون، تقول لي ما في شرك كيف يا أخي؟ الواقع يدل على أن الناس يحتاجون للتوحيد.

سادسًا وأخيرًا، من الأول التوحيد لماذا؟ أولًا لأنه حق الله وهو المستحق للعبادة، اتنين لحاجة الناس للتوحيد، تلاتة هو دعوة الرسل، أربعة لا إصلاح للحال، خمسة الواقع والشرك، ستة توحيد الموحدين. توحيد الموحدين كيف؟ أكثر ناس محتاجين للتوحيد، ليه؟ التوحيد ليس مجرد علوم كلامية وليس مجرد مسائل نظرية، التوحيد إذا لم يتنزل في أرض واقعك استقامة ومراقبة لله وخشية منه ولجوءًا إليه في كل حال لما حققت التوحيد.

الناس الآن يقول لك: نحن موحدين. واحد تلقاه عنده وظيفة يقول لك: بيرفدوني. بيرفدوك من الجنة ولا من الوظيفة؟ من الوظيفة؟ يا أخي الله بيديك تاني. وهكذا، شف الضعف بتاع الناس في جانب التوحيد وفي جانب اللجوء إلى الله. داير أسأل سؤال: هل أنتم تلجأون إلى الله؟ يقولون: نعم. هل ثقة فيه ويقينًا؟ بتسأل الله أنت متأكد ومستيقن؟

واحد يجيك يقول لك: يا شيخنا والله عندي موضوع. اتفضل، يحكي ليك ويحكي ليك ويبكي ويتألم. طب وليه؟ والله موضوع كبير. عشان كده جيتك. تقول ليه: قم في الأسحار وادع الغفار. يكشر وشه. تخيل! تقول له: ادع الله. يا أخي ربنا قريب، وربنا سميع، وربنا مجيب.

عشان كدا توحيد الموحدين، حتى من يدعو إلى التوحيد ومن يرى أنه الكمال في التوحيد يحتاج إلى التوحيد أبدًا. يا أخي ربنا قال للنبي: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾، موحد؟ لكنه يحتاج إلى التوحيد بعدد الأنفاس، لماذا؟ لأنه في الضعف الدائم، ولا جبران لضعفه، ولا عز لذله، ولا غنى لفقره إلا من الغني الجليل القدير القوي. ما أنت في النهاية بشر، دايمًا بتكون محتاج، دايمًا تكون مفتقر إلى الله. آخر كلمة، نحن نحتاج إلى التوحيد بعدد أنفاسنا.

للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/sounds/التوحيد-التوحيد/

تابع الحسابات الرسمية للشيخ

فيسبوك
MohammedSayedHaj

يوتيوب
@msayedhaj

تيليجرام
@msahaj

قناة واتساب
قناة الشيخ

إكس
@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com